

مؤشرات العدوانية من خلال رسم الشكل الإنساني لكارين ماكوفر

د. مختار مقسم - جامعة سيدي بلعباس

توطئة:

يعتبر العنف أو السلوك العدواني من مظاهر ومميزات العصر الحالي، وتطالعنا وسائل الإعلام يوما بعد يوم عن نتائج الوحشية. ومن وظائف العلم، للحد من غلواء العنف واستشرائه، التنبيه به وبإنذاراته قصد ضبطه والتحكم فيه.

ولهذه الغايات والأهداف، وضع علماء النفس القياسيون وسائل تنبئنا عن السلوك العدواني ومظاهره لدى الأفراد، فوضعوا ما يسمى بالروائز النفسية، وهذه من الكثرة بمكان، وتختلف أنواعها وأشكالها، فهناك الروائز النفسية اللفظية وغير اللفظية، الأدائية وغير الأدائية.

ومن بين الروائز النفسية غير اللفظية روائز ورقة قلم Papier crayon ومنها روائز الرسوم. وكذلك تختلف مواضيع الرسوم التي توضع محل اختبار السلوك العدواني لدى الأفراد.

والبحت الحالي سيتناول بالدراسة مؤشرات السلوك العدواني لدى الأطفال من خلال روائز الشكل الإنساني. ولكن قبل التوغل في الموضوع، دعنا نتاول مفهوم السلوك العدواني أو العدوانية بالشرح والتحليل.

تعريف السلوك العدواني:

يعتبر السلوك العدواني ثلاثة مفاهيم أساسية هي العنف، العدوان، الإساءة. فلا بأس أن نبدأ بتعريف العنف ثم سمييه العدوان والإساءة. تدور معاني العنف في المعاجم العربية حول كل سلوك أو فعل، يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتفريع، وذكر الرازي في مختار الصحاح أن العنف ضد الرفق، والتعنيف بمعنى التعبير باللوم.

أما في علم النفس، فالعنف " سلوك يستهدف إلحاق الأذى بالآخرين أو الآخر أو ممتلكاتهم." (هدى، 2006 : 62)، أما (طه، 1993) فيشير بأنه " سلوك مشوب بالقسوة والعدوان والإكراه، وهو سلوك بعيد عن التحضر والمدنية، تحركه الدوافع العدوانية والطاقات الجسمية، ويضر بالأشخاص أو ممتلكاتهم بهدف قهرهم."

و يعرف أيضا بأنه " تعبير صارم معبر عن القوة التي تمارس لإجبار الفرد أو الجماعة على القيام بعمل أو أعمال محددة يريدها فرد أو جماعة أخرى.

ويعبر العنف عن القوة الظاهرة حيث تتخذ أسلوبا فيزيقيا (ماديا) مثل الضرب، أو يأخذ صورة أخرى تمثل الضغط الاجتماعي، وتعتمد مشروعية العنف على اعتراف المجتمع به " (التير، 1997 : 14) .

ويعرفه قدري حنفي (1992) بأنه " سلوك ظاهري يستهدف إلحاق الأذى والتدمير بالأشخاص والممتلكات، وكلمة ظاهري تعني أن العدوانية لكي تكون عنفاً ينبغي أن يتوافر لها شرط الظهور.

ومنه؛ يمكننا أن نعتبر بأن العنف هو كل ما يهدد توازن الفرد وكيانه، فهو كل سلوك أو تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى النفسي أو الجسدي بفرد أو جماعة.

هذا عن العنف، أما العدوان والإساءة، فهما يعرفان على أنهما " سلوك يصدر عن أفراد أو جماعات نحو فرد آخر أو جماعة أو اتجاه بذاته لفظيا كان أم ماديا، إيجابيا كان أم سلبيا، مباشرا كان أم غير مباشرا، بسبب مواقف الغضب أو الإحباط أو الدفاع عن الذات والممتلكات، أو الرغبة في الانتقام، أو الحصول على مكاسب محدودة، ويترتب عليه إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بصورة متعمدة بالطرف الآخر أو الأطراف الأخرى " (سليمان، 2008 : 28)

ولكن، بالرغم من ترادف هذه المصطلحات الثلاثة، إلا أنه يمكن التمييز بينهما من حيث اعتبار العدوان أو السلوك العدواني بداية للعنف، ولكن العنف يختلف عنه في تميزه بالاندفاع والتهور للإيذاء نتيجة للضغط الشديدة، كما يكون مصحوباً بغياب تعاليم الضمير والقيم، ومن ثم يأتي أكثر تطرفاً وانحرافاً عن العدوان.

ولا نريد التوسع في موضوع السلوك العدواني من حيث النظريات التي تناولته بالتفسير كيلا نخرج عن ما قصدناه بتي المداخلة وهو جرد مؤشرات السلوك العدواني لدى الأطفال من خلال روائز الشكل الإنساني.

ذكرنا آنفاً أن وسائل رصد السلوك العدواني – والتي نعني بها الروائز النفسية Tests mentaux – كثيرة الأشكال والأنواع والموضوعات. ومن هذه الموضوعات رسوم الشكل الإنساني.

وهناك روائز عديدة تناولت الشكل الإنساني كرائز العائلة للويس كورمان والشخص لكارين ماكوفر والشجرة والمنزل والشخص لجون باك... ولكن ركزت الدراسة الحالية على رائز الشخص لكارين ماكوفر Test d'une personne.

وفي ما يلي رصد لأهم مؤشرات السلوك العدواني من خلال رائز الشخص لكارين ماكوفر، وقد اعتمد الباحث كتاب: " إسقاط الشخصية من خلال رسم الشكل الإنساني " وهو تعريب لكتاب كارين ماكوفر Karen Machover من قبل الدكتور إبراهيم رزق سند ليله.

جزأت ماكوفر مؤشرات الاضطراب بصفة عامة إلى:

أولاً: **الملاحج الاجتماعية** - أجزاء الوجه، التعبير الوجهي، الفم، العينان، الشعر، الأنف، العنق.

ثانياً: **ملاحج الاتصال** الذراعان واليدين، الأصابع، أصابع القدم.

ثالثاً: **ملاحج الجسم المتنوعة** المختلفة الجذع أو البدن.

وسنتبع الخطة نفسها للتدليل، ولكن فقط، على مؤشرات السلوك العدوانية، معتمدين على ما جاء في كتابها المذكور.

أولاً: الملامح الاجتماعية - أجزاء الوجه:

حذف الملامح الوجهية من الرسم بشكل عمدي يبدى تحديداً عدوانياً في الغالب. كذلك التوكيد الزائد والتدعيم للملامح الوجهية. (1)

التعبير الوجهي:

فقد وجدنا أن المبحوث يصنع لا شعورياً أسلوباً في رسمه بواسطة تعبير الكراهية والخوف والارتباك والعدوان. (2)

الفم:

إن الرسم التفصيلي للفم مع ظهور الأسنان والذي يقوم به شخص بالغ يعتبر دليلاً على وجود العدوان الفمي الطفلي (انظر الشكل 3م 3ف) ص: 154 وعند الطرف الآخر نجد الفم الذي يمثله خطياً خط ثقیل هائل الذي يوصل العدوان في فعل الرسم بالذات.

لقد ارتبطت هذه المعاملة الخطية غالباً وبحق بالشخصية العدوانية ذات النقد اللاذع والمفرط والسادية أحياناً. ونرى نوعاً من هذا الخط عندما يبدأ الفرد بضغط شديد ولكنه ينسحب سريعاً من الصفحة مما ينتج تمثيلاً لفم ثقیل ولكنه مختصر. ومن المنطقي أن يكون تفسير هذه المعاملة الخطية أن الحفرة نحو العدوان اللفظي قوية ولكن الصد المتوقع يجعل الفرد ينسحب بحذر. (3)

العينان:

وفي الرسوم نرى أيضاً العين الحادة الثاقبة التي يبدو أنها تعمل كوسيلة عدوانية اجتماعياً أكثر من كونها خبرة بصرية أو جمالية شاملة (انظر الشكل رقم 3 ف). إن العين عضو معقد منها تستمد أعظم متعنا ومعرفتنا. وربما تنوعت المعالجة الخطية للعين بقدر ما تتنوع وظائفها. فنحن نرى العين الواسعة السوداء البارزة أو المهددة التي تخلق صورة للعداوة والشك يسقطها الفرد البرانوني. (4)

الشعر:

ترى هذه المعالجة الخطية الفارقة للشعر بين الشكل الذكري (شعر له تسريحة أنيقة ودقيقة) والشكل الأنثوي (شعر غزير ومشوش) عامة لدى الذكور الناضجين نفسجسيا والذين يكونون هم أنفسهم نرجسيين وعدوانيين إزاء الأنثى. (انظر شكلي 6م، 6 ف) (5)

الأنف:

إذا تم التوكيد على فتحات الأنف بأي درجة من التوكيد فإن ذلك يعتبر علامة خاصة على وجود العدوان وهو تفسير يتدعم على وجه العموم من خلال وجود ملامح أخرى في الشكل المرسوم. (6)

العنق:

من الوجهة الاكلينيكية يعاني عديد من أولئك الأفراد (الأطفال والبالغين المتخلفين والأفراد الناكسين وشبه الفصامين) من الإحساس بضعف الجسم الذي يعبرون عنه في شكل دافع تعويضي نحو القوة الجسمية والعدوان. (7)

ثانيا: ملامح الاتصال:

الذراعان واليدان:

إنهما (اليدين) قد يظلان بقوة - مما يوحي بوجود الإحساس بالذنب فيما يتعلق بالدفعات العدوانية... (8)

الأصابع:

لقد رأينا الأصابع المفردة كالرمح أو المخلبية في الرسوم مع ملامح بارانوية مما يدعم افتراض وجود العدوان الصريح (انظر الشكل 3 م)

لقد ارتبط النمط القفازي لرسم اليد والأصابع أيضا بالعدوان المكبوت ولكنه أكثر تملصا وغير مشروع فيه من حيث الطابع ويميل إلى أن يرتبط بالثورات العدوانية المختلفة أكثر من ارتباطه بالعرض البدني.

إن اليد التي رسم المبحوث أصابعها بعناية ولكنه طوقها بخط يقطع إمكانات التواصل تفسر على أنها تعبير آخر عن العدوان المكبوت (انظر شكل 2 م). وهي ترى لدى الأفراد الذين يميلون إلى الانسحاب من التواصل الانفعالية خوفا من أن تصبح دفعاتهم العدوانية واضحة مكشوفة.

إن المعنى الدقيق لهذه الأصابع ليس واضحا حيث لم ترتبط كثيرا بالشخصيات العدوانية بشكل ظاهر ولكن إمكانية أن يكون لها دلالة رمزية جنسية تتسق مع وجود ملامح أخرى في الرسم. (9)

وقد يرسم الأفراد الطموحون والعدوانيون ذوي الميول الإنجازية أكثر من خمسة أصابع في اليد. ويشيع هذا في رسوم الأطفال.

وتفسر الأصابع المرسومة مفاصلها وأظافرها بعناية (انظر شكل 3 م) على أنها تبين سيطرة المبحوث الوسواسية على العدوان. (10)

وهناك تعبير آخر عن العدوان نراه في الأصابع التي تبدو كمخالب أو أداة ميكانيكية.

أصابع القدم:

عندما يرسم المبحوث أصابع القدمين في شكل ذكري أو أنثوي لم يقصد أن يكون عاريا فإنها تعتبر تعبيرا عن العدوانية التي تكون في الغالب مرضية في طبيعتها.

ويتمشى مع الدلالة التفسيرية التي تصاحب عرض أصابع القدمين في الرسوم اعتبار الميل الأنثوي المعاصر لطلاء أظافر أصابع القدمين وعرضها في الأحذية المكشوفة تعبيراً عن العدوان الأنثوي الزائد...

ومثل تغطية أصابع القدمين يعتبر تقييد أصابع القدمين في الرسم خلف خط يصل نهايتها القصوى دليلاً على وجود كبت أو كبح جماح الميول العدوانية. (11)

ثالثاً: ملامح الجسم المتنوعة المختلفة:

الجدع أو البدن:

لقد ارتبط الشكل المستدير للبدن بالرسوم الأقل عدوانية ونموا والأكثر أنثوية... وأحياناً يفشل المرضى الطاعنون في السن والمتصلبون في رسم بدن للشكل الذكري بينما يظلون بحصر بدن الشكل الأنثوي (مما يعبر عن رفض الجسم والعدوان نحو الأنثى... (12)

يبقى أن نقول إن ماكوفر تتبنى نظرية التحليل النفسي، وحرى بنا أن نوضح هذا المسلك لكي نتضح الرؤيا ويزول الالتباس؛ إذ لا يخلو رائز من خلفية نظرية تسييره وتهديه.

ويفترض فرويد، أب التحليل النفسي، أن اعتداءات الإنسان على نفسه أو على غيره سلوك فطري غير متعلم تدفعه إليه عوامل في تكوينه الفسيولوجي لتصريف العلاقة العدائية التي تنشأ داخل الإنسان عن غريزة العدوان وتلح في طلب الإشباع. والنموذج الذي يقدمه فرويد هو خفض التوتر، حيث ينشط سلوك الفرد بفعل المهيجات الداخلية، وتجهز عندما يتخذ إجراءً مناسباً من شأنه أن يزيد أو يخفض المهيج.

ولقد قسم فرويد الغرائز البشرية إلى: غرائز الحياة وأهمها: الجنس، وغرائز الموت وأهمها: العدوان وهاتين الغريزتين هما اللتان تسييران الحياة. ونجد أن «فرويد» يؤكد على أن غرائز الموت وراء مظاهر القوة والعدوان والانتحار والقتال لذا اعتبر غرائز الموت غرائز فطرية لها أهمية مساوية لغرائز الحياة من حيث تحديد السلوك الفردي حيث يعتقد فرويد أن لكل شخص رغبة لا شعورية في الموت.

ولقد ألحق فرويد العدوان بأنه يبدو كأحد الغرائز والدوافع التي تضمنت نظام اللا شعور والتي أطلق عليها الهو. وفي بداية الأمر أدرك فرويد أن العدوان يكون موجه إلى جد كبير للخارج ثم أدرك بعد ذلك أن العدوان يكون موجهاً على نحو متزايد للداخل منتهاً عند أقصى مدى إلى الموت.

خلاصة البحث:

يؤكد البحث على أهمية تشخيص السلوك العدواني لدى الأفراد قصد ضبطه والتحكم فيه، ووسائل تشخيص ذا الاضطراب كثيرة ومتنوعة، ومن أسهلها، والذي لا

يتطلب وسائل مادية مكلفة، وسيلة الرسم. ومن الرسومات التي ألفها الأفراد، والأطفال خاصة، رسم الشكل الإنساني. ومن أهم روائز رسم الشكل الإنساني رائز الشخص لكارين ماكوفر. وقد قسمت هذه مؤشرات العدوان إلى ثلاثة جوانب ذكرت أعلاه.

المصادر والمراجع:

1. ماكوفر، كارين (1987). إسقاط الشخصية في رسم الشكل الإنساني منهج لدراسة الشخصية . (ترجمة: إبراهيم ليله، رزق سند). بيروت: دار النهضة العربية. ص: 64
2. المرجع نفسه، ص: 65
3. المرجع نفسه، ص: 67
4. المرجع نفسه، ص: 72
5. المرجع نفسه، ص: 78
6. المرجع نفسه، ص: 81
7. المرجع نفسه، ص: 84
8. المرجع نفسه، ص: 88
9. المرجع نفسه، ص: 92
10. المرجع نفسه، ص: 93
11. المرجع نفسه، ص: 95
12. المرجع نفسه، ص: 97